

بَئِلْدَة

نَائِخْهَا وَاهْتِمَامِهَا الْاَثَرِيَّة

بقلم : فؤاد سفر
مدير المباحث والتنقيبات الاثرية

« دير » ، كما هي الحال في اسمى بكسايا وبسمايا وغيرهما من اسماء المدن التي سكنها الارميون أو عرفوها في اسفارهم واتصالاتهم فادخلوا كلمة بيت على اسمائها القديمة • وورد اسم هذه المدينة في المراجع العربية القديمة ومنها معجم البلدان لياقوت بصورة « بادرايا » •
والعقر تل واسع الشكل طول ضلعه نحو ١/٢ كيلومتر وارتفاعه نحو ٢٠ م ويحيط به من جهاته الاربع سور ما زال واضح المعالم • وفي وسط التل منخفض يشقه من الشرق الى الغرب يظن انه كان الشارع الرئيس للمدينة • وفي الجهة الغربية من الموقع تشاهد بقايا باب واسع من أبواب المدينة القديمة • وقد أخذت العوامل الطبيعية نصيبها الوافر من هذا الموقع فشقت السيول فيه مجارى غائرة لها وجزأت اطرافه الى مرتفعات كثيرة •

وفي سفح تل العقر قرية صغيرة تعرف باسمه وعلى مسافة يسيرة منه سراى الحكومة ودور الموظفين • اما بلدة بدره وبساتينها في فصلها عن

ازداد اهتمام علماء الآثار والباحثين في تاريخ العراق وحضاراته بـ « تل العقر » الواقع على نحو كيلو مترين من بلدة بدره ، ولولا انزاله بعيدا عن مدن العراق الرئيسة ومجاجة ماء الشرب في منطقته لكان من أفضل المواقع الاثرية لاجراء التنقيب والحفر الواسع المنتظم ، اذ كثيرا ما يعثر الفلاحون الساكنون جواره على آثار ذات أهمية خاصة يظهرها لهم سيل الامطار واسفاء الرياح •
وتل العقر هذا هو خرائب مدينة بدره القديمة التي كان أسمها في العهد السومرية والبابلية « دير » ، ويكتب بالعلامتين المسماريتين (BAD.AN)^(١) وقراءتهما « دور - ايل » أو « دير » التي تعنى باللغة الاكدية : الحصن ، أو البلدة ، أو المكان المحصن • فاسم بدره متكون من « بـ » المخففة من الكلمة الارمية بيت ومن الاسم القديم للمدينة وهو

(١) في الموسوعة الاشورية Reallexikon der Assyriologie فصل خاص عن كتابة اسم هذه المدينة وتاريخها تحت عنوان "Der"

وزروعها ، فهي الى سعة اراضيها القابلة للرى ، تقع على نهر دائم الجريان يعرف اليوم بكلال بدره . وبالقرب منها منفذ أو ممر يخترق جبال بشتيكوه ولعله الممر الوحيد في الجبال الصالح لسلوك القوافل الى كرمشاه وخرماباد وأصفهان وغيرها من المدن الايرانية الواقعة في المنطقة القريبة . فمدينة الدير اذن كانت من الناحية الجغرافية ومن الناحية السوقية في موقع ممتاز ارضها منبسطة قابلة للزراع والارواء ، ونهرها وافر الماء دائم الجريان . ذلك الى انها تسيطر على منفذ مهم من المنافذ القليلة في جبال بشتيكوه العاصية التي تفصل بين قطرين عظيمين اشتهرا بحضارتيهما منذ أقدم الازمان وهما بلاد بابل وبلاد عيلام . وكانت مدينة الدير ثغرا « ولعله الثغر المهم الوحيد » على الحدود بين ذيك القطرين . والسهلان البابلي والعيلامي أرض واحدة ذات تربة واحدة تشكلا على وجه التقريب في زمن واحد . وعماد الزراعة فيهما على الرى . ففي عيلام أيضا نهران مهمان هما الكرخة والكارون . الا انه منذ القدم كانت لكل من السهلين دولة قائمة بذاتها وشعب له لغة خاصة به ، اذ كان بين البلادين فاصل طبيعي منيع وهو الاهوار والمستنقعات المتكونة من مياه دجلة ومن الكرخة ولا زالت بقايا ذلك العازل الطبيعي موجودة في يومنا هذا بالرغم من تراجع خليج فارس الى الجنوب . وهذه البقايا هي هور الحويزة الواسع والاهوار الواقعة على طرفي نهر دجلة . وكانت

سراى الحكومة واد واسع تجرى فيه مياه كلال بدره .

ويكثر الفخار على هذا التل واغلبه من الالف الثاني قبل الميلاد وبينه ماهو من عصور ما قبل التاريخ واحدث انواعه خزف من الدور الساساني . وكثيرا ما يجد أهل بدره آثارا ذات أهمية في هذا الموقع . وندرج منها أدناه الآثار التي جاءت الى المتحف العراقي : -

- ١ - آجرة مختومة بكتابة للملك كوريكالزو . وعليها صورة مصرية وقد نشرها البروفسور سدنى سمث بعنوان An Egyptian in Babylon^(٢)
- ٢ - اختام اسطوانية من عصور ما قبل التاريخ ومن زمن سلالة بابل الاولى .
- ٣ - ختمان منبسطان من الدور الساساني .
- ٤ - رقيم من الطين المشوى من العهد الاخميني .
- ٥ - مسكوكتان من الدور السلوقي .

اهميتها :

الى الشرق من دجلة سهل واسع يمتد الى جبال بشتيكوه ، ولم تنشأ فيه منذ التاريخ القديم مدن ذات شأن ما خلا مدينة كازلو (Kazallu) السومرية التي وان لم يعين موقعها بعد الا انه يعرف عنها انها كانت تقع الى الشرق من دجلة . وفي حافة هذا السهل الواسع عند جبال بشتيكوه كانت مدينة ثانية هي مدينة الدير اشتهرت ببساتينها

(٢) نشرت في الجزء الثامن عشر لسنة ١٩٣٢ من مجلة

مدينة هيداكو Hidaku ومدينة مدكتو (٣) وهذه الأخيرة كانت عاصمة العيلاميين في أدوارهم الأخيرة قبل ظهور الاخمينيين في منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

ورغم قلة التنقيبات في المواقع العيلامية الاثرية فاننا نعرف من المصادر البابلية أخبارا لا بأس بها نذكر المهم منها بحسب تسلسلها الزمني : -

١ - يعرف من كتابات الملوك الاكديين (حوالي ٢٥٠٠ ق م) ان سرجون عندما سار بجيوشه على بلاد عيلام استولى في طريقه على مدينة كزلو ثم مدينة الدير (٤) غير انه عند موته ثارت عليه البلدان التي كان قد ضمها الى امبراطوريته المترامية الاطراف ومنها مدينة الدير ، مما اضطر ابنه ريمش ان يدبر حملة تأديبية تمكن فيها من اخضاع الدير والمنطقة الجبلية المجاورة وكذلك فعل من بعده « مانشتسو » ثم خضعت الدير الى الكوتيين الذين حكموا العراق وبلاد فارس في آن واحد نحو قرن من الزمن .

٢ - اتخذ « شولكي » ثاني ملوك سلالة أور الثالثة (٢٢٠٠ ق م) مدينة الدير قاعدة عسكرية لحملاته في الجبال الواقعة الى الشرق من الدير والى بلاد عيلام . وقد أعاد الى الدير في السنة

الجيوش الهاجمة من احد القطرين على القطر الاخر تضطر الى ان تسلك طريقا في الجبال أو عند حافاتها فتستولى على مدينة الدير وتتخذها في الغالب قاعدة لحركاتها . والدير رغم بعدها عن المراكز المهمة في بلاد بابل كانت مدينة بابلية في حضارتها واتصالاتها وقد كانت آلهتها مقدسة من قبل البابليين القدماء . ونذكر من آلهتها رئيسها واسمها SATARANA الذي يكتب بالعلامتين KA-DI وكان له معبد واسع اسمه (E-dimgal-kalam) أى « معبد عمد الارض » اعاد بناءه الملك كوريكالزو . وكان في المدينة معبد مهم آخر لاله السماء Anu وفيها معابد للاله Siru وغيره من الآلهة .

تاريخها :

ولما كان التنقيب لم يجر في خرائب هذه المدينة فلا يعرف تاريخها بصورة مضبوطة مفصلة الا انه يعرف من تاريخها أخبار متفرقة واردة في الكتابات المسمارية المكتشفة في السوس وفي المواقع الاثرية العراقية . والجدير بالذكر ان من جميع المدن العيلامية العديدة لم يجر التنقيب لحد الان الا في خرائب مدينة السوس ، رغم ان بين تلك المدن ما كانت لا تقل أهمية عن مدينة السوس ومنها مدينة أوان Awan التي كانت فيها سلالة من الملوك حكمت بلاد سومر وأكد وقد وردت أسماء ملوكها في قوائم أسماء ملوك البابليين القدماء ، ومنها أيضا مدينة انشان Anshan التي لا يعرف موقعها ، وقد كانت حاضرة الملوك قرونا عديدة ، وكذلك

(٣) مواقع هذه المدن مبينة على الخارطة التي نشرها البروفسور جورج كامرون في كتابه المعنون History of Early Iran

(٤) يراجع W.C. Albright "A Babylonian Geographical treatise on Sargon of Akked's Empire, JAOS. XLV & XLVI

جديد • ويحتمل ان الخرائب الواقعة الى الجنوب من بدرة وتعرف بـ « بكسايا » كانت مدينة أو حصنا كشيا اذ يظن ان كلمة بكسايا اصلها « بيت كشي » •

٥ - وفي أواخر العهد الكشي تمكن ملك من ملوك عيلام واسمه Kidin Hutran (١٢٤٢ - ١٢٣٢ ق م) من الاستيلاء على الدير وقد خربتها جنوده ونهبت معابدها وهي في طريقها الى نبور • غير انه بعد هذا الحادث بنحو قرن من الزمن اتخذ الملك البابلي نبوخذنصر الاول (١١٤٦ - ١١٢٣) مدينة الدير قاعدة عسكرية في هجومه الواسع على بلاد عيلام •

٦ - ولما امتدت غزوات الملوك الآشوريين الى بلاد بابل وعيلام نجد الدير من المدن التي اهتموا باخضاعها لسلطانهم فقد قام شمشي اداد بحملته على بلاد بابل فعبر الزاب وجبال حميرين وعبر دياالى ثم انحدر الى الدير فنهب خزائنها واضطر اهلها الى الهروب الى بلاد عيلام من وجه الاشوريين ثم نحذف كتلتها (٧٧٢ - ٧٥٥ ق م)

السابعة من حكمه تمثال الهها « ستران » ونصب فيها في السنة السادسة والاربعين حاكما جديدا •

٣ - وتمكنت المدن النائية التي كانت تابعة لامبراطورية أور من الاستقلال بعد موت « ابي - سن » آخر ملوك تلك الامبراطورية وظهر في الدير ملوك ذوو شأن لعلهم أشهر وأقوى من حكم في تلك المدينة في جميع ادوار تأريخها • وقد خلف أحدهم نصبا تذكاريا جاء فيه انه بنى معبد المدينة وجدد ابنتها وحصونها • ويعرف أحد ملوك الدير باسم انومتابل Anu-Mutabul تمكن من ان يقضى على سلالة كريكيري Kirikiri وبلاالاما Belalama في اشنونا وان يمد بنفوذ بدرة مدينته الى المدن العيلامية • • الا انه صادف ان توغلت في العراق في ذلك الزمن قبائل الاموريين الذين تمكن ملكهم كنكسم Gungunum من ان يقهر انومتابل ملك الدير ويقل من نفوذه (٥) •

٤ - اما في زمن الكشيين فقد كانت «دير» واقعة في طريق القبائل الكشية الهاجمة على العراق، اذ انهم طهر تلك القبائل كان في الحال الى الشرق

وقد نشأت في أطراف الدير سيما الى الجنوب
منها مدن أرمية كثيرة تكرر ذكرها في كتابات
الكلدانيين ومن سبقهم وكانت أشهر مدنهم
« بيت امبي Bit Imbi وتقع الى الجنوب الشرقي
من مدينة الدير •

الدير من ناحية التنقيب :

يتبين مما سبق ان التنقيب في الدير قد يكشف
عن آثار لها أهمية في معرفة العلاقات بين عيلام
وبابل وبين المناطق الجبلية والعراق وتمتاز خرائب
هذه المدينة بانها لم يمسهامعول المنقب بعد •
حتى ان من زارها من السياح القدماء قلائل جدا •
وان التنقيب فيها سهل قياسا بالاماكن الاثرية
الاخري التي غالبها في مناطق نائية عن المدن
الحديثة فبالقرب منها بلدة بدرة العامرة بالسكان
ويتوفر فيها الماء والعمال الذين يحتاج اليهم العمل •
رغم كل هذا يجب ان تذكر ان الدير كانت بلدة
صغيرة لم يكن لها يوما ما في تأريخها شأن كشأن
أى مدينة بابلية رئيسة اذ ان ملوكها لم
يذكروا في ثبت اسماء الملوك الذين حكموا العراق
قديمًا •

